قداسة الحبر الاعظم

بيوس العاشر

قداسة البابا بيوس العاشر

ابشركم بفرح عظيم (لوقا ٢: ١٠)

لمَّا تراءى ملاك الربّ قبل عشرين قرنًا فوق رُبى اليهوديَّة ليبشّر رُعاة بيت لحم بمولد ابن الله الكلمة المتجسّد خاطبهم بهذه الكلمات السارَّة: «ابشركم بفرح عظيم». فما قرع مسامع الرعاة ذاك النَّبأ حتَّى افعم قلوبهم مسرَّةً وحبورًا فتسارعوا الى مذود المسيح وسجدوا لهُ «ورجعوا وهم يمجّدون الله ويسبحونهُ على كلّ ما سمعوا وعاينوا كما قيل لهم»

فتذكارًا لهذه البشرى الاولى اعتادت الكنيسة عند انتخاب احبارها الاجلّاء وجلوسهم على الكرسي الروماني السامي ان تبشّر المؤمنين بتنصيبهم مكرّرةً آية الانجيل الطاهر التي وردت على لسان الملاك. وقد راعى هذه العادة في اليوم ٤ من آب الجاري الكردينال لويس ماكيّ اقدم الكرادلة الشمامسة اذ اشرف على طنف فوق ساحة القديس بطرس مسبوقًا بالصليب البابويّ ذي العوارض المثلّثة ثمَّ أعلَن بصوت جهور خبر الانتخاب قائلًا: اني ابشركم بفرح عظيم انَّ حبرنا الاعظم هو نيافة الكردينال يوسف سَرْتو بطريرك البندقيَّة وقد شاء ان يدعى باسم:

بيُّوس العاشر

اجل انَّهُ لفَرَحٌ عظيم شملنا اليوم نحن الكاثوليك فرحٌ يشبه فرح رعاة بيت لحم اذ انَّ قيامة حبر جديد في كنيسة الله كمواصلة لذلك السرّ العجيب سرّ تجسُّد الكلمة الذي بشَّر بهِ الملاك. كيف لا وقد انبأ جبرئيل يوم البشارة بالمسيح للبتول الطاهرة «ان ملكهُ لا يكون لهُ انقضاء». وهذا الوعد انَّما يصدق بارتقاء الحبر الروماني متولّي الرئاسة على الكنيسة التي

هي ملك المسيح المؤبَّد . لان المسيح يحيا في بطرس . وبطرس حيٌّ في خلفائهِ

كان الفرنسيس في عهد ملوكهم اذا بلغهم منعى الملك يهتفون قائلين : مات الملك ! فليحيَ الملك ! اشارةً الى تعلُّقهم بالعرش الملكيّ بعد موت صاحبهِ وأَملًا منهم بانَّ الابن يخلف والدهُ فلا تنقطع السُّلالة بموت بعض افرادها . وما احرانا نحن ابناء الايمان ان نكرّر هذا القول بنوع اصدق ومنوال احقّ عند وفاة احد احبارنا العظام فنهتف : مات البابا ! فليحيَ البابا !

والحقُّ يقال انَّ في الارض دولةً روحيَّة وعدها الربُّ بالخلود اذ بناها على كلامهِ الحيّ وعلى مواعيدهِ الثابتة التي تزول السماء والارض قبل زوال حرف منها (لوقا ٢١ : ٣٣)

وإنْ هذه الدولة الَّا كنيسة المسيح اقامها الرب في وسط الزمان كمنارةٍ وجعل اساسها على الجبال المقدَّسة ووعدها انهُ يكون معها الى منتهى الاجيال . وقد عهد بقيادتها الى رجالٍ ينوبون عنهُ يؤتيهم قوَّة من العُلى فيشهدون لاسمهِ الى اقاصي الارض . تراهم يتعاقبون واحدًا بعد آخر وهم يختلفون اسمًا وسنًّا وعقلًا وحكمةً الَّا ان فعل الله فيهم ظاهر لا يختلف البتَّة فتعضدهم يمينهُ عزَّ وجلّ وتلوح في أَعمالهم اصبعهُ تعالى

مذ سمعوا في شخص رئيسهم الاوَّل : « انت الصخرة »

صارت الصخرة تمثّل ثباتهم فان ناواهم الملوك او ثارت عليهم الفتن او هاجت الشعوب ازدروا بصدمات الدّهر كالصخرة تلاطمها الامواج وتساورها الأنواء وراسها يعلو الغمر شامخًا . قام الجحيم وزحف عليها بكل قوّاته فنطح الصخرة وارتدّ خاسرًا واختبر صدق القائل : « لن تقوى عليها ابواب الجحيم »

كناطحٍ صخرةً يومًا ليفلقها فلم يَضِرْها واوهى قرنهُ الوَعلُ

عرف الاحبار الرومانيون الدسائس . قاسوا الشدائد . عانوا المحن . ذاقوا الموت الوانًا دون ان يحيدوا عن طريق الاستقامة او يعلّموا غير تعليم الصواب . تصدّوا لمطامع البشر كلّما حاول البشر ان يتعدّوا حقوق الله فأسمعوهم كلمة بطرس لمجمع اليهود : « خير لنا ان نطيع الله من ان نطيع البشر » فكانت هذه الكلمة اقوى من كل جيش جرّار واقطع من كل سيف بتّار نسفت اعداءهم نسفًا فتضعضع الاعداء وهم على صخرتهم الصمّاء تمرُّ عند اقدامهم دول الارض وهمُ هم يثبتون ولا يصيبهم الغيار

وقد كان ضابط سكّان السفينة البطرسيّة امس يُدعى لاون الثالث عشر اقرَّ لهُ الشعوب بالدراية والحكمة . واليوم ندعوه « بيوس العاشر » فان سألتني : من هو البابا الجديد ؟ اجبتك مع القديس برنردوس في كتابهِ الى اوجانيوس الثالث : هذا امام الاحبار . هذا وريث الحواريين . هو في تقدُّمهِ وسَبقه

هابيل . وفي قيادتهِ نوح . وفي أبوَّتهِ ابراهيم . وفي رتبتهِ ملكيصادق . وفي شرفهِ هارون . وفي سلطتهِ موسى الكليم . وفي قضائهِ صموئيل . وفي رئاستهِ بطرس . وفي مسحتهِ المسيح عينهُ

فهذا هو بيوس العاشر وكذا كان لاون قبلهُ وهكذا يكون آخر حبر يجلس من بعده عند منتهى الاجيال . فمن ثمَّ سيَّان عندنا ان يتبوَّأ عرش البابويَّة هذا او ذاك لأنَّنا نستشفّ ما وراء الاشخاص بطرس الصفا او بالحري المسيح نفسهُ وله وحدهُ نؤدي اكرامنا وخضوعنا طالبين الى الله مع الملك والنبيّ داود (مز ٤٠): ان يحفظهُ الربّ ويحييهُ ويُسعدهُ في الارض ولا يسلِّمهُ الى نفوس اعدائهِ

فاقبل اذن أيُّها الاب الأقدس اوَّل تحيَّة ابنائك الشرقيين . الى مقامك الرفيع نوجّه الألحاظ في بدء ملكك ونحن متأكدون انَّنا سنلقى في شخصك الأثيل ما لقينا في اسلافك من حسن الالتفات والحنوّ الأبويّ

فاعطف على هذه الكنائس الشرقيَّة لتزدهر كما كانت في سالف الازمان ويزيد بهاؤها يومًا بعد يوم باتحادها الرّوحيّ غير المنفصم مع الكرسي الرسولي مصدر كل قوَّة وينبوع كلّ حياة ويا ليت قلبك يسرُّ قريبًا برجوع ما بقي من

الخراف الى الحظيرة المقدَّسة حتى تصير رعيَّة واحدة وراعٍ واحد

عِشْ سالمًا وآهنأ بعرشٍ شاهقٍ ضمِنَ المسيحُ خلودَهُ يُوسُ
انتَ الصَّفا بُنيت عليك كنيسةٌ هيهاتَ ان يغتالَها ابليسُ
إرْعَ الشعوب وكُنْ بربّك واثقًا يَعضُدْك دومًا روحهُ القدُّوسُ

شعار البابا الجديد

هو على شكل بيضويّ يُقسم قسمين ازرق في اسفلهِ واحمر في اعلاه وفي القسم الازرق الذي يمثِّل البحر مرساة فضِيَّة ذات ثلاث شُعب وفوق رأس المرساة كوكب فضيّ مخمَّس الاشعَّة (انظر الصفحة ٧٢١)

ولمَّا كان البابا سابقًا بطريركًا على البندقيَّة اضاف الى شعارهِ الموصوف شعار مدينة البندقيَّة الذي يمثِّل اسدًا ذا اجنحة ذهبيَّة رابضًا على انجيل فضيّ وقد ألغى اليوم شعار البندقية